حماسة الشعر العربي في أرض إسرائيل ..

إسرائيل طبقت بالأفعال أشعار الفخر والحماسة العربية التي بقيت عندنا مجرد كلام

الفخر

يُعدّ الفخر من أول فنون الأدب تأثيرًا على فطرة الإنسان، ويكون بتعداد الصفات الكريمة لمن يفخر وتحسين السيئات منها ونراه يرتبط غالبًا بالشجاعة، والكرم، والوفاء، والحلم، وعراقة الأصل، وحماية الجار والنزيل، ومنع الحريم والفخر من نتاج العاطفة الجياشة الصادقة، والانفعال القوي ومن هنا لا يلتزم الفخر بالحقائق التاريخية، بل يعمد إلى المبالغة والتهويل، وإطلاق الخيال الخصيب وتنطلق فيه الألفاظ والعبارات موافقة له، مطابقة لمقتضى حاله، مشتدة بشدته

ففي الجاهلية كان هناك الفخر الذاتي، وفيه يفخر الشاعر بنفسه، قاصرًا فخره عليها، غير ملتفت لسواه وكان هذا النوع من الفخر كثيرًا جدًا، وقد نبت تلقائيًا من نفوس تهوى العزة، وتعشق المجد وكانت أسواق العرب مثل سوق ((عكاظ)) تبسط أمامهم ميادين القول والمفاخرة.. كذلك كانت لهم مجالسهم يجتمعون فيها لمناشدة الأشعار، ومبادلة الأخبار.. والشاعر لسانهم والذائد عنهم، والشعر ديوانهم، وكان البيت يرفع القبيلة، ويشيد بذكرها، ويعلي من شأنها، كذلك كان الشعر، وكان الشاعر، وكانت الأسواق والمجالس لكن ذلك الامر وتلك المفاخر اخذتها اسرائيل وجسدتها واقعا بينما ظلت عندنا كلاما واغاني فقط

اسرائيل وعمرو بن كلثوم

مطابقة الفعل الإسرائيلي لأبيات الفخر الأولى على مستوى التاريخ القومي العربي فعندما تقرأ أبياتا من معلقة عمرو بن كلثوم وتسقطها على الواقع السياسي الكيان الصهيوني (إسرائيل) فإنك ستجد انها بقت الأبيات حرفايا وبمهارة شديدة التفوق حتى للشاعر الذي قالها اذ يقول عمرو التغلبي:

فـإنّـا المـطـعـمـون اذا قـدرنـا
وأنّـــا المـهـلـكـون اذا ابـتـلـيـنـا
وأنّـــا المـانـعـون لمـا اردنـــا
وأنّـــا الـنـازلـون بـحـيـث شـيـنـا
وأنّـــا الـتـاركـون اذا سـخـطـنـا
وأنّـــا الآخـــذون اذا رضـيـنـا
وأنّـــا الـعـاصـمـون اذا اطـعـنـا
وأنّـــا الـعـازمـون اذا عـصـيـنـا
ونـشـرب ان وردنـــا المـاء صـفـوا
ويـشـرب غـيـرنـا كـدرا وطـيـنـا
الا ابـلـغ بـنـي الـطـمـاح عـنـا
ودعـمـيـا فـكـيـف وجـدتمـونـا
اذا مـا المـلـك سـام الـنـاس خسفا
ابـيـنـا ان نـقـر الـذل فـيـنـا
لـنـا الـدنـيـا ومـن امـسـى عليها
ونـبـطـش حـين نـبـطـش قـادريـنـا
بـغـاة ظـالمـين ومـا ظـلـمـنـا
ولـكـنـا سـنـبـدأ ظـالمـيـنـا
مـلأنـا الـبـر حـتـى ضـاق عـنـا
ونـحـن الـبـحـر نمـلـؤه سـفـيـنـا
اذا بـلـغ الـرضـيـع لـنـا فـطـامـا
تـخـر لـه الجـبـابـر سـاجـديـنـا

وبعد قراءتنا لهذه المفاخر التي شنها عمرو على الناس والايام تجد ان كبار الباحثين الإستراتيجيين الصهاينة في معهد "أبحاث الأمن القومي" التابع لجامعة "تل أبيب"، إفرايم إنبار يقررون أنّ الزمن يعمل لصالح "إسرائيل" في السنوات الأخيرة، رغم ما نشهده مما يصفها بـ"أدبيات العجز" التي تشك بإستمرار وجودها مستقبلاً، في ضوء تراجع مكانتها الدولية، وعدم قدرتها على الصمود أطول في نزاع مستمر مشكوك فيه، لافتاً إلى أنّ "إسرائيل" دولة صغيرة، ومنذ تأسيسها تواجه مخاطر وجودية من جانب جيرانها لكن ذلك الالخطر لم يكن يوما إلا أعلاميا فقط دون ان يتجسد واقعيا حتى في الحروب التي قامت ضدها فعمرو بن كلثوم يقول:

وأنّـــا الـعـاصـمـون اذا اطـعـنـا
وأنّـــا الـعـازمـون اذا عـصـيـنـا

واسرائيل تطبق !

وأشار "أنبار" إلى أنّ ميزان القوة بينها وبين "أعدائها"، والمزايا الداخلية المؤثرة في القوة الوطنيّة، والمكانة الدوليّة تعزز موقع "إسرائيل" بقدرتها على مواجهة التحديات المقبلة، موضحاً أنّ بيئة الأمن القومي والمتغير الأهم لصراع البقاء في المنطقة الحرجة التي تقطنها "إسرائيل"، هو ميزان القوة مع جيرانها، فإذا تعاظمت قوتها مع الزمن، وإذا توسعت فجوة القوة بينها وبين "أعدائها"، فإن قدرتها على التغلب على التحديات الأمنية الإقليمية مضمونة وهذا تحديدا ما يقرره عمرو في ابياته حيث يقول:

لـنـا الـدنـيـا ومـن امـسـى عليها
ونـبـطـش حـين نـبـطـش قـادريـنـا
بـغـاة ظـالمـين ومـا ظـلـمـنـا
ولـكـن سـوف نـبـدأ ظـالمـيـنـا

واعتبر التقرير أنّ بناء "إسرائيل" لمنظومة عسكرية قوية جداً أفلحت في التغلب على تهديدات عسكريّة كثيرة، وأنّ الجيش تنظيم متطور وناجع يستخدم تقنيات وذخائر متقدمة، وانتصاراته في حروب الماضي أشارت إلى الدول العربية بعدم إمكانيّة محو "إسرائيل" بسهولة عن الخريطة بقوة الذراع وهذا ما يقوله عمرو :

ونـشـرب ان وردنـــا المـاء صـفـوا
ويـشـرب غـيـرنـا كـدرا وطـيـنـا

■ في 66 عاما فقط جسدت اسرائيل أبيات الفخر والحماسة في التاريخ العربي الممتد

■ لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات برهانا

فائق عبدالجليل

الا ابـلـغ بـنـي الـطـمـاح عـنـا
ودعـمـيـا فـكـيـف وجـدتمـونـا
اذا مـا المـلـك سـام الـنـاس خسفا
أبـيـنـا ان نـقـر الـذل فـيـنـا

ويشير التقرير إلى أنّ التفوق العسكري الصهيوني قاد لتقليص حدة النزاع مع العرب، بالإضافة إلى أنّ العملية السلمية التي بدأت مع دول عربية نهاية السبعينيات خفضت احتمالات نشوب حرب تقليدية واسعة معهم.

ويؤكّد أنّ ما طورته "إسرائيل" من خيار نووي، لترسخ صورتها كدولة هائلة القوة، وأسلحة من هذا النوع توفر تذكرة دائمة بأن كل محاولة لتدميرها يمكن أن تجبي ثمناً باهظاً جداً، ولهذه الأسلحة قيمة ردعية، خصوصاً ضد الدول المعادية وكأن اسرائيل تتغنى ببيت عمرو بن كلثوم قائلة

اذا بـلـغ الـرضـيـع لـنـا فـطـامـا
تـخـر لـه الجـبـابـر سـاجـديـنـا

اسرائيل وزهير بن ابي سلمى

التقرير يؤكد أنّ أعداء "إسرائيل" في العالم العربي يبدون ضعفاً شديداً، فالمجتمع العربي باقٍ على حاله، ومعظم الدول العربية غارقة في مشاكل داخلية كثيرة، وتعيش حالياً في حالة انعدام اليقين، خصوصاً على فترة ما بعد التقلبات العربيّة ولهذا فإسرائيل لا تريد أن تكون ضعيفة أمام أحد حتى لو تطلب الأمر أن تكون هي البادئة بالظلم وهو ما قاله الشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ
يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النّاسَ يُظْلَمِ

وأضاف أنّ هذه الدول منشغلة بأزمات اقتصادية، اجتماعية وسياسية خطيرة، ولا طاقة لها أو موارد على بناء منظومات عسكرية شديدة البأس قادرة على مهاجمة "إسرائيل"، وقدرتها على تهديد الوضع القائم عسكرياً محدودة جداً مرجحاً أنّ فارق القوة بين "إسرائيل" وجاراتها يتسع دائماً، ومع الوقت تغدو أقوى، وأعداؤها اقل شأنا وهذا تماما ما يقوله الشاعر الجاهلي زهير كما في الأبيات التالي

وما الحـرب إلا ما علمتم وذقتمُ
وما هو عنها بالحديثِ المُرَجّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً
وتضرَ إذا ضريتوهما فتُضْرَمِ
فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقح كشافاً فتنتج فتتئم
فتنتج لكم غِلمان أشأم كلهم
كأحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم

ما أقسى هذا الوصف الذي بدا قبل الفي عام تقريبا ثم نجد ان اسرائيل تطبقه علينا ونحن القائلون وهي الفاعلة وأما قول الشاعر العربي بشار بن برد حيث الصرخة الاكثر فخرا في قصيدته التي بقول أبى طلل في الجرع أن يتكلما وأورد بها بيت الفخر الأكبر لدى العرب :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ً
هَتَكْنَاً حِجَابَ الشّمْسِ أوْ أمطرت دما

فإن اسرائيل قد جسدته بفعلها حين احرقت الجنوب اللبناني واحتلالها السوري الجولان وابتلاعها أساسا للثكلى القديمة فلسطين ولو أردنا حرث الشعر العربي لوجدنا جمهرة من الأبيات التي جسدتها اسرائيل فعلا بينما ظلت في طيات الكتب قولا عربيا خالصا مثل قول الشاعر قريط بن أنيف العنبري التميمي شاعر جاهلي من بني العنبر من تميم لم يرد عنه الكثير في سيرته سوى قصته مع قبيلته وقبيلة بني مازن التي انفرد بها النحوي البصري حيث أغارت بنو شيبان عليه ونهبت ثلاثين من إبله فقام يستصرخ قبيلته لكنهم خذلوه فاستغاث ببني مازن و هم من تميم أيضا الذين أجابوه إلى ما سئلهم وأغاروا على بني شيبان ونهبوا منهم مائة من الإبل ودفعوها إليه فقال قصيدته الشهيره التي افتتح بها أبو تمام كتابه ديوان الحماسة. حيث هجا قومه وامتدح شجاعة بني مازن وإقدامهم حيث قال فيها.

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن
عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم
قاموا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب
ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحسانا
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا
شدوا الإغارة فرسانا وركبانا

وانظروا في تاريخ اسرائيل ذي الـ66 عاما كيف كانت تتصرف مع حقوق رعياها وتدير شؤونهم امام جميع دول العالم حتى في الرقعة العربية

عبدالناصر الاسلمي